ورغم أن النموذج بنية تصوُّرية، إلا أن من الممكن اختباره لاكتشاف مقدرته التفسيرية والتصنيفية. فإن تَمكَّن النموذج من تفسير جوانب أشمل وأوسع من الواقع، بحيث يفوق ما تفسره النماذج الأخرى ـ فهو «أكثر تفسيرية» منها، وهي بالتالي «أقل تفسيرية» منه. ونحن نُفضِّل استخدام هاتين العبارتين الأخريين بدلاً من عبارتي «موضوعي» و«ذاتي»، لأنهما تؤكدان دور العقل الإنساني، وتستعيدان البُعد الاجتهادي غير النهائي في عملية رصد الواقع، على عكس «موضوعي» و«ذاتي» اللتين تدوران في إطار الموضوعية السلبية المتلقية.

ويمكن القول بأن مصطلحي «أكثر تفسيرية» و«أقل تفسيرية» أدق؛ لأن العالم صاحب الأطروحة لن يقول: «هذه هي الرؤية الموضوعية التي تصور الواقع بدقة، على عكس الرؤى الأخرى، فهي مجرد رؤى ذاتية تعكس أهواء صاحبها» .. بل سيقول بكل تَواضُع: «هذا هو اجتهادي، وأعتقد أنه أكثر تفسيرية، وأرجو أن تقوموا باختبار ما توصلت إليه».

المعرفي:

«المعرفي» هو ما يتناول «الصِّيَغ الكلية والنهائية للوجود الإنساني». وكلمة «كُليٍّ» تفيد الشمول والعموم، بينما تعني «نهاية الشيء» غايته وآخره وأقصى مايمكن أن يبلغه. وتناول الظواهر معرفياً يتعامل مع المستويات الكامنة والعميقة في الخطاب الإنساني.

وتدور النماذج المعرفية حول ثلاثة عناصر أساسية: الإله ـ الطبيعة ـ الإنسان. ونحن نركز على الإنسان (الموضوع الأساسي للعلوم الإنسانية)، ولكن من خلال دراسته يمكن أن نحدد موقف النموذج من العنصرين الآخرين (الإله والطبيعة). وفي محاولة دراسة صورة الإنسان الكامنة في أي نموذج معرفي، يستطيع الدارس أن يطرح مجموعة من الأسئلة تدور حول ثلاثة محاور أساسية، يجمعها كلّها عنصر واحد، هو التجاوز: